

خماروية بن أحمد بن طولون
(٢٧٠ - ٢٨٢ هـ)



لقبه :

هو أبو الجيوش خمارويه ولقب بذلك

- ١- لأنه تولى قيادة الجيوش قبل بلوغه للعشرين عاماً
- ٢- ولى اهتمامه بالجيش وقيادة الجيوش.
- ٣- لأنه شكل فرقة مختارة من الجيوش سماهم فرقة المختارة وأخذ منهم حرصه الخاص .

-كان خمارويه الحاكم الطولوني لمصر وسوريا .

-عُرف عنه ترفه وانفاقه وبذخه لدجة أن قيل عنه أنه أنشأ بستاناً جمع فيه كل صنوف الأشجار والطيور بالعالم.
كما عُرف عنه اهتمامه بمظهره وملبسه جنوده .

علاقة خمارويه بالدولة العباسية كان خمارويه معاصر للخليفة العباسي المعتضد بالله " أبو العباس أحمد المعتضد بالله وقد بويع له بعد موت عمه المعتضد على الله "

سعى خمارويه من أجل توطيد علاقته بالخليفة العباسي عن طريق الهدايا والأعطيات وهذا من أجل اكساب الصفة الشرعية لحكمه. ماذا من رد فعل الخليفة العباسي؟

طبعاً وافق ورحب ترحيباً شديداً وقبل الهدايا والأعطيات وقام بتنفيذ معظم ما اراده خمارويه منه . وبذلك نجح خمارويه في تحقيق أغراضه .

علماً بأنه لم يكن هذا كل ما قام به خمارويه مع الخليفة العباسي فقد وطد علاقته أكثر به عن طريق المصاهرة «الزواج» ويسمى هذا الزواج بالزواج السياسي .

- فأراد خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندى " وهي أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون وقد توفيت سنة 287 هـ كما أنها من أشهر النساء اللاتي لقبن بقطر الندى في تاريخ مصر ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر الأبهة والعظمة، حين زوجها أبوها من الخليفة العباسي المعتضد بالله." من ابن الخليفة المعتضد ويدعى المكتفي بالله ولي العهد ، ولكن الخليفة المعتضد اختارها لنفسه.

- وهذا يدل على مدى حرص كل من خمارويه والخليفة العباسي على توطيد علاقتهما ببعض وهذا يرجع لأهمية مصر للخلافة على الرغم من أن بعض المؤرخين يقولون أن الخليفة العباسي أراد الانتقام من الطولونيين والقضاء عليهم لازدياد نفوذهم بمصر .

- فماذا عن صداق قطر الندى :-

- وكان صداق «مهر» ابنة خمارويه مليون درهم وكان مقابل هذه

- الزيجة أن اعترفت الخلافة العباسية بحكم خمارويه وأبنائه من بعده لمدة ثلاثين سنة . معنى ذلك أن الدولة الطولونية أخذت الصفة الشرعية لحكمها.

- فماذا عن موقف ابنه المكتفي بالله من هذا الزواج؟

- كان ابنه غاضباً لأنه أراد الزواج من ابنة خمارويه ،ولكن استطاع والده ارضائه بتقليده «أى تعينه» على بعض الولايات فى ايران مثل الرى وقزوين.

- لقد أنفق خمارويه على هذا الزواج الكثير من الأموال لدرجة أنه لا تزال أصداء «صدى» هذا الزفاف تترد فى التراث الشعبي المصري حيث إنه استمرت مراسم الاحتفال بالزفاف عدة أشهر ويعتبر هذا الزفاف من أطول احتفالات الزفاف في البشرية .

-غير أنه استنزف أموال الدولة الطولونية وعجل بنهايتها .

-فكان عصره «خمارويه» من عصور الفساد في مصر .

وضع مصر بعد سقوط الدولة الطولونية

- عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة للعباسيين

- - انتشار الفوضى وهذا بسبب ضعف الخلافة العباسية في بغداد «عاصمة الدولة العباسية»

- استبداد سلطة الأتراك

- ضعف الولاة بسبب استبداد الجند ولذلك كانت سلطة الوالى اسمية فقط» أى المنصب موجود وليس له أى سلطات»

- أصبحت السلطة فى أيدي القوط وعمال الخراج.

- تولى مصر بعد سقوط الدولة الطولونية حتى العصر الاخشيدى عدد من الولاة أشهرهم

- ١- محمد بن سليمان وهذا لمدة أربعة أشهر

- ٢- محمد بن عيسى الذى قام فى عهده ثورة من أحد أنصار أحمد بن طولون واستمرت لمدة سبعة أشهر ولكن قضى عليه بمساعدة العباسيين .

- ظلت الأوضاع في مصر بهذه الصورة حتى تولى مصر محمد بن طنج الاخشيد .

- والذي تمكن من تأسيس الدولة الاخشدية بمصر والذي يعتبر عصره عصر تقدم وعمران . وان شاء الله سنتحدث عنه المحاضرة القادمة بالتفصيل

- حكمت الدولة الطولونية مصر تقريباً زهاء ثمانية وثلاثين عاماً "وهناك بعض الأراء تذكر أنها ظلت أربعين عاماً وهي الاقرب للصواب"، انتعشت فيها البلاد واستردت قوتها وعظمتها، فراجت تجارتها ، ونشطت صناعتها وزراعتها ، وقوى الجيش ، وأنشئ أسطول بحري ، وأصبحت مصر امبراطورية تمتد من العراق إلى بلاد برقة بما في ذلك آسيا الصغرى والشام و فلسطين ، وكان عهدها عهد سلام ورخاء وعناية بالمرضي و الضعفاء ، ونهوض بفن العمارة والزخرفة والنقش ، وتشجيع العلم والعلماء .

- ولا عجب بعد ذلك إذا رثا الشعراء هذه الأسرة ، وتذكروا أيامها بالألم والحسرة ، ويكفيها فخراً أنها وضعت أساس مدينت الاسرات التي تليها في حكم مصر ، وخاصة الفاطميين والمماليك. وإليك بعض ما قاله أحد الشعراء :

قف وقفة بقباب باب الساج والقصر ذي الشرفات والأبراج

وربوع قوم أزعجوا عن دارهم بعد الإقامة أيما إزعاج

كانوا مصابيحاً لدي ظلم الدجا يسري بها السارون في الإدلاج

وكان أوجههم إذا أبصرتها من فضة ببيضاء أو من عاج

كانوا ليوثاً يرام حماهم في كل ملحمة وكل هياج

فأنظر إلى آثارهم تلقى لهم علماً بكل ثنية وفجاج

وعليهم ما عشت لا أدع البكا مع كل ذي نظر و طرف ساج

-

-



حالة مصر العامة في ذلك العصر:

عقب سقوط الطولونيين سنة ٢٩٢هـ (٩٠٥م)، عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة للعباسيين. إلا أن الاضطرابات استمرت في البلاد بعد خضوعها لدار الخلافة وذلك لضعف الخلفاء العباسيين في بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطانهم فيها، لاستبداد الأتراك بسبب المنافسة الموجودة بين الولاة وعمال الخراج. وأصبح الوالي من الضعف بحيث استبد به الجند ، فقد كان تعيينه أو عزله حسب رغبتهم، ولذا كان يعمل على كسب رضائهم بدفع مرتباتهم إليهم. على أنه كان لا يمكنه أن يحصل على المال اللازم للجند إلا بموافقة عامل الخراج الذي كان بمثابة وزير المالية وتفوق سلطته الأدبية سلطة الوالي : لأنه كان محتتماً على جميع الموظفين أن يطيعوه ليحصلوا على مرتباتهم ، ولأنه لا يمكن تنفيذ مشروع إلا بعد الحصول على إذن منه بذلك ليوافق على فتح الاعتمادات اللازمة. فكان الوالي في واد ، وعامل الخراج في واد آخر كل منهما يكيد لصاحبه و يعمل على التخلص منه ، وكانت سلطة الوالي بذلك إسمية ، وكان مهدداً في كل حين من جانب الخليفة العباسي بالعزل ، على أنه كثيراً ما كان يرفض الإذعان لأمر العزل ويحول دون دخول الوالي الجديد إلى مصر. وأصبحت السلطة في البلاد محصورة في يد القواد وعمال الخراج ، ولم يعد لغيرهم أي نفوذ .

أشهر ولاية مصر:

بعد أن تم لمحمد بن سليمان القائد العباسي القضاء على الدولة الطولونية ، تقلد ولاية مصر مكافأة له، على ما بذله من جهود في سبيل جعل مصر تحت سيطرة العباسيين ، وبقي على ولاية مصر أربعة أشهر ، صُرف بعدها عن منصبه على أثر اتهامه بالرشوة وابتزاز الأموال. وفي عهد ذلك الوالي ، مر بمصر عبيد الله المهدي أول الحلفاء الفاطميين في المغرب. فأرسل الخليفة العباسي تعليمات إلى محمد بن سليمان بتتبع المهدي ، وتمكن بالفعل من القبض عليه ، ولكنه صرفه لما بذله المهدي من الأموال وخلف محمد بن سليمان في ولاية مصر عيسى النوشري (٢٩٢ - ٢٩٧هـ). و يمتاز عهده بثورة جامعة قام بها أحد أنصار ابن طولون من القواد ، ويعرف بابن الخليل والذي دخل ابن الخليل مدينة الفسطاط ، واستقر في دار الإمارة ، وازدادت شوكته . وهنا تدخل الخليفة العباسي ، وأرسل . جيشاً لطرده ابن الخليل ، ولكنه هزم . فاختار الخليفة لقتاله قائداً آخر يدعى فاتك أكثر درية وأعظم مراساً ، فسار على رأس جيش كثيف ، فدارت الدائرة على ابن الخليل ، وفر ، واستتر في أحد بيوت الفسطاط . وبذلك استطاع عيسى والي مصر أن يعود إلى الفسطاط هو ومن معه من رجاله ، وهناك عرف بمخبأ ابن الخليل ، وقبض عليه ، وقيده ، وبذلك تخلص من رجل أقلق بال الخلافة العباسية أكثر من سبعة أشهر ، ولولا قوة فاتك لقضى على سلطان العباسيين في مصر ورجع عهد سيطرة الطولونيين. وعاد فاتك إلى بغداد ومعه ابن الخليل وأصحابه ، فطيف بهم على الجمال ثم ضربت أعناقهم. وكان من جراء هذه الثورة أن أجذبت أرض مصر وعمدت فيها الأقوات واشتد بها الغلاء ، ووقع من ابن الخليل أضعاف ما عمله محمد بن سليمان من أعمال السلب والنهب.

على أن ضَعَف مصر و اضطراب أحوالها في ذلك العصر ، شجع الفاطميين على التفكير في غزو مصر. فإنه في سنة ٢٩٦هـ ، قدم مصر زيادة الله بن الأغلب أمير إفريقية بعد أن هزمه أبو عبد الله الشيعي داعية دعاة الفاطميين ، فمنعه عيسى من النزول ، ثم سمح له بأمر الخليفة العباسي أن يعبر النيل ويرحل عن مصر. وتوفي عيسى في ٢٦ شعبان سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م).

وفي عهد أبي منصور تكين (٢٩٧ - ٣٠٢هـ) والي مصر بعد عيسى ، حدث أول احتكاك حربي بين مصر والمغرب ، ومنذ ذلك الحين توالى حملات الفاطميين على مصر للاستيلاء عليها. ومن الولاة الذين تولوا مصر في تلك الفترة : ذكا الأعور محمد بن

طغج الإخشيد وأحمد بن كيغلغ وتولى مصر بعد ذلك محمد بن طغج الإخشيد في رمضان سنة ٣٢٣هـ وتمكن في ولايته الثانية على مصر أن يؤسس الدولة الإخشيدية ويمكن القول إن مصر لم تستقد في الفترة التي تلت سقوط الطولونيين حتى وليها الإخشيديون غير اضطراب أحوالها ، وطمع الغزاة في الاستيلاء عليها ، على أنه بتأسيس الدولة الإخشيدية ، دخلت مصر في دور جديد من أدوار التقدم والعمران